جواب عن « سؤال »

للاستاذ احمد امين

وجه الاستاذ علي الطنطاوي في العدد الماضي الينا والى ادباء الرسالة الاماثل هذه : أسئل وغايتنا الأدب للأدب؟ ام نعمل وغايتنا الادب للحياة ؟ ثم سأل لماذا ينصرف أدباؤنا عن الادب القومي الذي يعالج القضية الكبرى ، الى ذلك الأدب الغزلي الضعيف ؟ وقد اجبنا اجمالا في ذلك العدد عن بعض هذا السؤال ، وتفضل صديقنا الاستاذ احمد امين فأجاب تفصيلا عن البعض الآخر (المحرر)

لك الحق - كل الحق - ياأخي أن تصرخ وتصرخ معك في وجه زعماء الادب العربي طالبين ان يلتفتوا الى الادب القومي، ويكثروا القول فيه ، فالعالم العربي كله يجيش صدره بآلام و آمال ، والأدب يجب ان يعبر عن هذه الآلام والآمال ، بأسلوبه الرشيق ، وعواطفه القوية ، وخياله الرائع ؛ واذ ذاك يجد الناس غذاءهم فيما يقرءون ، ولذتهم ومتعتهم فيما يسمعون وينشدون ، والناس في كل عصر يتطلبون من الاديب أن يكون موسيقاهم التي تناسب عاطفتهم ، فان كانوا فرحين مرحين كانت الموسيقى فرحة مرحة ، وان كانوا باكين محزونين كانت الموسيقى حزينة باكية ، ومن السماجة أن توقع الموسيقى نغمة فرحة في مأتم، أو نغمة باكية في عرس، وقد كان الناس يقصدون الى الشعراء يشرحون اليهم عواطفهم ويطلبون منهم شعرا يناسبها ويرويها .

كان بيت بشار في البصرة مقصدا لهذا النوع من الناس ، يذهب اليه الغزل الذي تجيش في صدره عاطفة الحب ولا يستطيع ان يعبر عنها ليجد بشار من فنه ما يعبر عما في نفسه، وتذهب اليه النائحات لينشدهن شعرا يستنزف الدمع ويبعث الشجا والشجن

وكل عصر له مطالبه ، وكل أمة لها مواقفها وعواطفها، ولا خير في الأدب اذا لم يصف الحياة ، ويمجد العواطف، ويجد الناس في كل موقف يقفونه قولا أدبياً قويا يشرحه ، وشعرا جميلا يعبر عنه

والعالم العربي الآن له عواطف قومية جديدة لم تكن لديه قبل سنين ، هي نتاج التيار الحديث الذي غمر اوربا وسار منها الى الشرق ، فملأ مشاعرها ألما ما هي فيه ، كما ملأها أملا في حياة خير من الحياة التافهة التي يحيونها ، ثم التفتوا الى الأدب القديم فلم يجدوا فيه غذاءهم كافيا ، ليس فيه شعر يتغنى بالحرية كما نود ، ولا بالقومية كما نحب ، وانما هي أبيات مبعثرة بجملة ، قيلت لوصف مشاعر غير مشاعرنا وفي مواقف غير مواقفنا - وتلفتنا الى الادب العربي الحديث فوجدناه ناقصا كأخيه، لم يسد الفراغ ، ولم يكمل النقص ، قد أفرط القدماء في الغزل فأفرط المحدثون فيه ، وقصر القدماء في وصف المناحي الاجتماعية والنزعات القومية فقصر المحدثون فيه ، وأصبح ناشئنا لا يجد الغذاء الكافي في القديم ولا في الجديد ، فلك الحق أن تطلب من الزعماء وأن تطلب من الرسالة أن تدعو الكتاب والشعراء أن يلتفتوا الى وجوه النقص فيكملوها ، حتى اذا احتاج الشباب الى نشيد أو أناشيد وجدها . واذا وقف موقفا يتطلب قصيدة في معنى من معاني القومية أو الحرية انطلق بها لسانه ، واذا طرب لمنظر طبيعي في بلاده وجد القصائد قد قيلت فيه واستوفت محاسنه ، وهكذا . ولك أن تطلب من كتّاب الروايات أن يبحثوا عن نواحي الضعف في الحياة الاجتماعية الشرقية ، فيجلّوها ويعالجوها ، وأن يكون لهم نظر صادق في تعرف نفسيات الافراد والجماعات فيحللوها ، وأن يتجه الكتاب الاجتماعيون فيدرسوا أمراض قومهم ، ويستخدموا الادب في الخطب والمقالات تثير مشاعر الناس وتهيجهم ، ليتخلوا عن رذيلة ، ويستكملوا فضيلة ، ويعالجوا نقصا ، وينشدوا كمالا

لك الحق أن تعتب على الادباء أن أكثرهم في الشرق لم يتجه هذا الاتجاه الا قليلا ، وأنهم بين أن ينظموا في الاغراض القديمة ولا يحسنوها احسان القدماء ، وبين أن ينقلوا من الادب الغربي ما فقد روحه ، أو لم يتناسب وروحنا . والا فأين هو أدبنا القومي ؟ وأين التغني بمناظر طبيعتنا ؟ وأين الروايات الاجتماعية تصفنا ؟ لا شيء من ذلك الا القليل الذي لا يتناسب ونهضتنا الحديثة

انا معك فى هذا كله ـ ولكن لست معك فى انكارك: أن يكون الفن للفن ، والأدب للأدب . ولست معك فى أن تطلب أن يكون الأدب للحياة ـ فليس من شك فى ان القطعة متى استوفت عناصرها الأدبية كانت ادبا . مهما كان موضوعها الاخلاق . وليس احد ينكر أن قصائد ابى نواس الفاجرة الداعرة أدب ، كما لا ينكر أحد ان الصورة العارية اذا أجيد تصويرها فن جميل ، وان لم ترض عنها الاخلاق . فالأدب للأدب والفن للفن ، ولكن هذا لا يمنع ان تكون سلطة المصلحين فوق سلطة الأدباء : فاذا رأى المصلحون أن ضربا من الأدب يحل الاخلاق ويفك عرى المجتمع ، حاربوه بكل ما استطاعوا من قوة ، واذا رأوا أن ضربا من الأدب فى الأمة ضعيف ويجب أن يقوى ، طلبوا الاكثار منه بشتى الوسائل . وشجعوا عليه ومهدوا له السبل ، وهذا هو موقفنا بالضبط . فقد كثر فينا ما نسميه بالأدب المائع كثرة تحل الاخلاق وتضعف الرجولة . وهذا الأدب المائع من غير شك أدب ، وقد يكون أدبا راقيا . ولكن يصح أن نخضعه لنظر المصلح . فاذا كان المصلح الاجتماعى قويا ضرب على هذا النمط من الادب ولو الى زمن محدود ، حتى تستكمل الامة قوتها ورجولتها . ومثل الادب فى ذلك مثل العلم . فالادب للادب كالعلم للعلم : فالعلم يبحث كما يشاء ، فاذا أردت أن تستخدم العلم فى أشياء عملية كصنع أسلحة وغازات وما الى ذلك خضعت المصلحة والانسانية وسن لها قوانين . وهذا لم يطعن فى أن يكون العلم للعلم ـ فان أردت بقولك ان الادب لا يكون ادبا الا اذا خدم الحياة فانا مخالفك . وان اردت ان المصلحين والدعاة يجب ان يخضعوا الادب لأغراض الحياة الصحيحة فانى موافقك

وبعد ـ فقد غلوت يا أخى فى رأيك ، فلم ترد أن يكون فى الادب حب الا من نوع خاص ، وأردت من الادب أن يكون قويا وقويا فقط ، وبعبارة أخرى تريد أن تكون حياة الادباء حياة حربية ليس فيها الا القوة وما يبعث على القوة ، ليس فيها زهرة جميلة ، ولا غزل ظريف ، وأنا أخشى أن الادب باقتصاره على القوة يفقد القوة ، فان للنفوس سآمة ، ويحسن أن يكون بجانب صوت المدفع والقنابل صوت العود والقانون

ولقد كنت أكتب فى هذا الموضوع حتى اذا وصلت الى هذا الموضع شعرت بملل ، فما هو الا أن سمعت نغمة رقيقة من بيانو فاصغيت اليها حتى استكملتها فعادت نفسى الى نشاطها ـ ألا يكون فى هذا مثل صالح للحياة الادبية ؟ جد وهزل . وتغن بالحرية ، ونعى على الاستبداد ، وتغزل فى زهرة ، وفكاهة حلوة . هذا ـ يا أخى ـ أصلح حتى من الناحية الجدية ، فمن لم يله أبدا قصرت حياة جده وتقبضت نفسه ، ولم يتحمل طويلا مرارة العمل ، وإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . أحب ان تكون الحياة الادبية كفرقة الموسيقى : لا طبلا فقط ، ولا نايا فقط ، بل هما وغيرهما ، وعيب حياتنا الادبية الحاضرة انها رخوة فقط . فيجب ان يضاف اليها نغمات القوة ، لا ان تحل النغمات القوية وحدها محل النغمات الرقيقة ، فانا ان فعلنا ذلك كان الادب أبعث على الحياة ، واحفظ للقوة ، فطمئن نفسك ولا تأس على شاعر طال ليله وارق جفنه حبيب أعرض عنه وابتسامة احتجب عنه نورها ، فمن يدرينا لعل الحب كله من واد واحد ، فمن احب فتاته كان اسرع استعدادا لان يحب امته ، ويحب ربه ، ومن تحجر قلبه لم يبك على شىء .

وبعد فوقف « الرسالة » كما أفهم من مبادئها يجب أن يكون الدعوة الى تكميل النقص فى الادب العربى ، وحث قادته على أن يطرقوا من الابواب ما نحن فى أمس الحاجة اليه حتى يكون أدبنا صورة تامة لنا ، وحتى يكون غذاء كافيا لمختلف عواطفنا ، يجب أن يكون موقفها ـ فوق الموقف الادبى ، موقف المصلح ، فترفض أن تنشر الادب الساقط المرذول ، المضعف للخلق ، المفسد للرجولة ، ولكن يجب كذلك أن تفسح صدرها لنوع من الادب لا هو بالقوى الذى تتطلب الاقتصار عليه ، ولا هو بالضعيف المائع ، هو أدب الحب العف ، والفكاهة الحلوة البريئة ، والهزل يشف عن